مبادئ النفع المتعدي وإنسانية الإسلام

د.أحمد عبدالله حسين – دكتوراه في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر– كلية الآداب–جامعة أسيوط

الحمـــد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا مُحَّد رسول الله –ص– خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا . أما بعد،،،،

عنيت الدراسات الفكرية الحديثة بدراسة الموضوعات التي تمس الجانب الحضاري والإنساني بين المسلمين وغيرهم، وقد أسس الإسلام لقيم إنسانية عالية ظهر ذلك في توجيهات القرآن الكريم قال تعالى : [يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثى وَجَعَلْناكُمْ شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} .(1) ، وقد حملت السنة النبوية توجيهات إنسانية عالية لحث المسلمين في تعاملهم مع الآخر.فقد سبق الإسلام الجميع في التحضر والرقي الإنساني . وقد برهن الفقهاء على ذلك من خلال الأبواب الفقهية الكثيرة التي تناولت الجانب الإنساني بين المسلمين وغير المسلمين على الإطلاق.

أسس الإسلام لمبادئ الإنسانية من خلال مفاهيم: (الرحمة — التسامح — العدل — الكرامة – الحرية). وذلك من خلال القرآن الكريم، والسنة النبوية، وبعض أقوال أهل السلف الصالح، وبعض المفكرين في العصر الحديث والمعاصر، فقد دعى الإسلام إلى التعايش والتفاهم والتعاون بين الأمم ، وقد أسس الإسلام لقيم الرحمة والتسامح والعدل والكرامة والحرية، قال تعالى: ﴿**لَا يَنْهاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**﴾.[2] ووضع الإسلام أسس التعامل مع الآخر المخالف للعقيدة، فلقد اهتمت تعاليم الإسلام بالآخر المخالف سواء أكان هذا الآخر المخالف لنا في العقيدة من أصحاب الديانات السماوية كاليهودية والمسيحية وهم أصحاب كتاب سماوي، أو آخر له معتقدات آخرى وثنية أو لادينية.

فالأصل في الإنسان المسلم هو السعي لنفع الآخرين لا أنه يمنع النفع عنهم، "وقد أمر I بفعل الخير أمرًا مطلقًا غير مقيد ولا محدود فقال Y : ﴿ **وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾.[3] ، الخير كل عمل يكون فيه نفع للناس، ويتفاوت الخير فيه بتقارب مقدار النفع، فالنفع الكثير يكون الخير بقدره...مع القيام بالعبادات على شتى فروعها وكل أنواعها.وقال I : ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي رجاء أن تفلحوا وتفوزوا في الدارين في الدنيا فتكونوا خير الناس...والرجاء من العباد لَا من اللَّه؛ لأن اللَّه I لَا يرجو بل يعلم وينفذ. إنه عليم حكيم".[4]وتبعًا لهذا أو نتيجة له يصح أن يقال "إنه صار للعرب رسالة إنسانية

(1) – [سورة الحجرات ، الآيه /13] .

(2) – [سورة الممتحنة، الآية/ 8].

(3) – [سورة الحج، الآية/77].

(4) – زهرة التفاسير : مُحَّد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: 1394هـ) ، دار الفكر العربي ،(5034/9).

وعالمية خالدة لما في القرآن والحكمة النبوية من معجزات باهرة ، وتشريعات ، ومبادئ خالدة تستجيب لكل حاجة من حاجات البشر وتحلّ كلّ مشكلة من مشاكلهم في كلّ ظرف من ظروفهم. وسواء في ذلك المسائل والمشاكل والشؤون الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والسياسية والأخلاقية والأسرية والإنسانية أم المسائل والمشاكل الروحية والإيمانية والعقيدية مع سعة غير محدودة في الأفق، ومرونة كبرى في التطبيق وسمو لا يدانى في الأسس والأهداف يكفل تقدم معتنقيها قدما إلى أسمى ذرى الكمال الإيماني والروحي والعلمي والتشريعي والاجتماعي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي والأسري والإنساني بكل قوة وسرعة ودون ما أي عائق وجمود وتعقيد. وإمدادهم بأسباب الصيانة الروحية والأخلاقية، وإمدادهم بذخر من الفيض الروحي الذي يحول بين فراغ النفس واليأس والانهيار في الأزمات ويدفع عنهم نوازع الشر والأنانية والهدم إذا هم فهموها وساروا على نهجها بإيمان وصدق خلافا لما يتوهم الذين لم يدرسوها دراسة واعية".[5] فالإسلام دين خير ورحمة للعالمين ، فالاشتغال بنفع الناس وقضاء حوائجهم من أعظم العبادات في هذه الحياة الدنيا ، فينبغي على المسلم إعانة المحتاج ، وأن ينقي نفسه الأمارة بالسوء من عدم فعل ذلك، فالإحسان إلى الناس له فضل عظيم في الآخرة ، وهذا من كرم ولطف الله – I– على عباده.

منهج الدراسة:

ولما كانت كل دراسة تقتضي منهجًا معينًا فقد اقتضت طبيعة الدراسة اعتماد المنهج التحليلي المقارن منهجًا لها عند عرض القضايا والمفاهيم المرتبطة بإنسانية الإسلام، وتحليل أقوال مفكري الإسلام والعلماء والفقهاء في ذلك والمنصفين من الغرب، وذلك اعتمادًا على ما كتبوه أو ما كُتب عنهم وذلك من أجل التعرف علي أوجهه الاتفاق والاختلاف حول هذه الموضوعات في الفكر الإسلامي، وتأتي فائدة المنهج المقارن من أجل توضيح مواطن الأصالة والتجديد والتقليد فيما أثاره هؤلاء من قضايا ومشكلات في ثنايا هذه القضية الشائكة . والمنهج الوصفي في وصف الآيات والأحاديث التي تناولت إنسانية الإسلام.

ويمكن أن نقسم البحث إلي مقدمة وخاتمة وخمسة مباحث:

- مقدمة: وفيها يعرض الباحث في عجالة لإنسانية الإسلام، ويعرض لموضعه، وأهم التساؤلات التي يطرحها البحث، ويحاول الإجابة عنها، كما يبين أهداف الدراسة، ومنهجها المستخدم، وأقسامها.
- المبحث الأول : قيمة الرحمة وأثرها في بناء الحضارات.
- المبحث الثاني : التسامح كمفهوم إنساني .
- المبحث الثالث : تكريم الإسلام للإنسان.
- المبحث الرابع: أثر حرية الفكر والعقيدة في بناء الحضارة

(5) – التفسير الحديث : دروزة محمد عزت ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة ، 1383 هـ ،ص509

- خاتمة: وفيها يعرض الباحث لأهم نتائج البحث، مع وضع قائمة من التوصيات التي تؤكد على دور إنسانية الإسلام في بناء الحضارات. ثم قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول – قيمة الرحمة وأثرها في بناء الحضارات

إن الإنسانية خصيصة من خصائص الإسلام الكبرى، فقد أنزل الله– I–هذا الدين ليتوافق مع الإنسانية جمعاء ، فلم يرض الله – I– لعباده دينًا آخر غير الإسلام إذ قال I : ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**﴾.[6] أي إن هذا الدين هو الدين الذي يصلح لله. وقد خلق الله – I– الإنسان ويعلم ما يصلحه وما يفسده ، لذلك شرع الله – I– الحلال والحرام، شرع – I– الحلال لأنه يعلم أن فيه صلاح الناس، وحرم على الناس أشياء لأنه يعلم أن فيها فسادهم، وعدم استقامة أمورهم. وقد اختلفت الآراء حول إنسانية الإسلام، فقد ظهر من يدعو إلى أن الإسلام دينًا همجي مع حمل الإسلام لكل مبادئ الإنسانية، وقد حملت وجهات النظر هذه أمام إنسانية الإسلام آراء عديدة، منها ما هو متجرد عن الأهواء والميول والرغبات ، ومنها ما هو ليس إلا افتراء على الإسلام وأنه انتشر بالسيف ، ولكن هذه الفكرة بعيدة تمامًا عن التصديق، فالإسلام دين إنساني في المقام الأول ، ونجد ذلك بوضوح في تأسيس الإسلام للقيم الإنسانية، ومن هذه القيم الإنسانية يمكن أن نذكر ما يلي :

لا شك أن إنسانية الإسلام تظهر في أنه دين الرحمة ، حيث جاء الإسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، وذلك رحمة بهم، وقد تجلت آثار ذلك في القرآن الكريم ، فهناك آيات كثيرة تحدثت عن الرحمة ، وقد تباين معنى الرحمة في القرآن الكريم فجاءت بمعنى الخير قال I : ﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**﴾.[7] يقول ابن عاشور في تفسيره للآية :" وَالرَّحْمَةُ هُنَا مِثْلُ الْخَيْرِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِمْ وَذَلِكَ إِدْمَاجٌ لِلِامْتِنَانِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ مَا نَزَلَ عَلَيْهِمْ هُوَ رَحْمَةٌ بِهِمْ".[8] ونجد أن الله– I – أمر رسوله – ﷺ – بخلق الرحمة ، قال I: ﴿ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾.[9] وكذلك قولهI: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ**

(6) – [سورة آل عمران ، الآية/ 19].

(7) – [سورة البقرة، الآية/ 105].

(8) –التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» : مُحَمَّد الطاهر بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس ، 1984 هـ ، (653/1).

(9) – [سورة آل عمران ، الآية/ 159].

الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾.[10] فيذهب ابن عطية في تفسيره إلى أن " هذه الآية عامة في جميع الناس إلى يوم القيامة في كافر ومؤمن، أي إن توبة الكافر تمحو ذنوبه، وتوبة العاصي تمحو ذنبه".[11]

وفي السنة النبوية، دارت أحاديث كثيرة حول هذا المعنى منها: أن رحمة الله– I– واسعة، فالله غفور رحيم ، يغفر لمن يشاء ورحمته وسعت كل شيء ، وهذا من لطف الخالق سبحانه بنا ونجد ذلك في حديث جندب بن عبدالله ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ – ﷺ – حَدَّثَ « **أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللهِ لَا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلَانٍ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لَا أَغْفِرَ لِفُلَانٍ، فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلَانٍ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ " أَوْ كَمَا قَالَ** ».[12]، "فلله إذن أن يعفو عن المسيء المذنب فيقع من حلف على عدم المغفرة له في إثم وعقوبة ما تلفظ به".[13] بل نجد رحمة الإسلام تتخطى الإنسان إلى الحيوان ، فالإسلام دين رحمة لكافة المخلوقات ويؤمرنا بالتحلي بالرحمة والرأفة في معاملة جميع المخلوقات ، وذلك في حديث أبي هريرة ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – ﷺ – قَالَ: « **بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ بِي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ " قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَإِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجْرًا؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»**. [14]

"ففى هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم كافرهم ومؤمنهم ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغى لكل مؤمن عاقل أن يرغب فى الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها فى أبناء جنسه وفى كل حيوان، فلم يخلقه الله عبثًا، وكل أحد مسئول عما استرعيه وملكه من إنسان أو بهيمة لا تقدر على النطق وتبيين ما بها من الضر، وكذلك ينبغى أن يرحم كل بهيمة وإن كانت فى غير ملكه، ألا ترى أن الذى سقى الكلب الذى وجده بالفلاة لم يكن له ملكًا فغفر الله له".[15] بل إن الرحمة لا تتنزع إلا من شقي فعن أبي هريرة – ﷺ – قَالَ:

---

(10) – [سورة الزمر، الآية/ 53].

(11) – المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : أبو مُحَمَّد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ) ، المحقق: عبد السلام عبد الشافي مُحَمَّد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى – 1422 هـ ، (536/4)

(12) – حديث صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه : كِتَابُ "البر والصلة والآداب" بَابُ "النَّهْيِ عَنْ تَقْنِيطِ الْإِنْسَانِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى" ، (2023/4) (2621). عَنْ مُعْتَمِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبُو عِمْرَانَ الْجَوْنِيُّ، عَنْ جُنْدَبٍ.

(13) – فتح المنعم شرح صحيح مسلم: موسى شاهين لاشين ،دار الشروق، الطبعة الأولى (الشروق)، 1423هـ – 2002م، (117/10)

(14) – متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ "الأدب". بَابُ "رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ" (9/8) (6009)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " السلام" . بَابُ "فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا" (1761/4) (2244) كلاهما عَنْ سُمَيٍّ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ السَّمَّانِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(15) – شرح صحيح البخارى لابن بطال: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: 449هـ) ، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد – السعودية، الرياض ، الطبعة الثانية، 1423هـ – 2003م (219/9).

سَمِعْتُ النَّبِيَّ – ﷺ – الصَادق المصدُوق أَبا الْقَاسِمِ – ﷺ – يَقُولُ: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إلا مِن شَقِي**».[16] وذلك لأن الرحمة في الخلق رقة القلب ورقته علامة الإيمان ومن لا رقة له لا إيمان له ومن لا إيمان له شقي فمن لا يرزق الرقة شقي ذكره الطيبي قال ابن العربي: حقيقة الرحمة إرادة المنفعة وإذا ذهبت إرادتها من قلب شقي بإرادة المكروه لغيره ذهب عنه الإيمان والإسلام. [17] فالرسول– ﷺ – جاء رحمة للعالمين ونجد ذلك بوضوح في حديث أبوهريرة ، وكيفية تعامل الرسول– ﷺ – مع المشركين ورحمته بهم ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبَّادٍ، وَابْنُ أَبِي عُمَرَ، قَالَا: حَدَّثَنَا مَرْوَانُ يَعْنِيَانِ الْفَزَارِيَّ، عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ قَالَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا، وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**».[18] أي "ما بعثت إلا رحمة للعالمين، أما كونه – ﷺ – رحمة للمؤمنين فظاهر، وكونه رحمة للكافر؛ فلا يعجل الله في عقوبته في الدنيا؛ لوجوده – ﷺ – قال الله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**﴾". [19] [20]

وسار الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا على نهج الرسول– ﷺ – وقد تحلى الصحابة بالصفات الحسنة من الرحمة والتسامح والعدل في معاملة الآخرين ، وسيدنا عمربن الخطاب أنموذجًا في الرحمة على الرغم من أنه عرف بالشدة والقوة في التعامل. قال عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ لِعُمَرَ وَرَآهُ يُقَبِّلُ بَعْضَ وَلَدِهِ، فَقَالَ: أَتُقَبِّلُ وَأَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ لَوْ كُنْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا قَبَّلْتُ لِي وَلَدًا، فَقَالَ عُمَرُ: «**اللَّهَ اللَّهَ؟**» حَتَّى اسْتَحْلَفَهُ ثَلَاثًا، فَقَالَ عُمَرُ: «**فَمَا أَصْنَعُ إِنْ كَانَ اللَّهُ نَزَعَ الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ، إِنَّ اللَّهَ إِنَّمَا يَرْحَمُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ**».[21] وهذا إن دل فإنما يدل على رحمة سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ . ونجد رفق "عمر بن عبدالعزيز"– ﷺ – بالحيوان حيث :" كتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى حيَّان بمصر: إنَّه بلغني أنَّ بمصر إبلًا نقالات، يحمل على البعير منها ألف رطل، فإذا أتاك كتابي هذا، فلا أعرفنَّ أنَّه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل، وكتب إلى صاحب السكك أن لا يحملوا أحدًا بلجام ثقيل من هذه الرستنية، ولا ينخس بمقرعة في أسفلها

---

(16) – حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ "الأدب المفرد". بَابُ "ارحم من في الأرض" (193) (374). عن منصور عن أبي عثمان مولى المغيرة بن شعبة عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(17) – فيض القدير شرح الجامع الصغير ، زين الدين مُحَمَّد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ) ، المكتبة التجارية الكبرى – مصر الطبعة الأولى، 1356 ، (422/6).

(18) – حديث صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ "البر والصلة والآداب" بَابُ " النَّهْيِ عَنْ لَعْنِ الدَّوَابِّ وَغَيْرِهَا"، (2006/4) (2599). عَنْ يَزِيدَ وَهُوَ ابْنُ كَيْسَانَ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(19) – [سورة الأنفال، الآية/ 33].

(20) – المفاتيح في شرح المصابيح: الحسين بن محمود بن الحسن، مظهر الدين الزَّيْدَانيُّ الكوفي الضَّرِيرُ الشِّيرازيُّ الحَنَفيُّ المشهورُ بالمظْهِري (المتوفى: 727 هـ) ، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف: نور الدين طالب ، دار النوادر، وهو من إصدارات إدارة الثقافة الإسلامية– وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة الأولى 1433 هـ - 2012 م ، (144/6)

(21) – مصنف عبد الرزاق : أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثانية ، 1403، (299/11) (20590) عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ عَاصِمٍ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ ، وينظر أيضًا : الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) ، معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: 153هـ) ، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي ، المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة الثانية، 1403 هـ ، (299/11) (20590).

حديدة".[22] فالإسلام الدين القائم على الرحمة "فمن رحمة الله بخلقه أن شرع لهم ما فيه صلاحهم ، وحرم عليهم ما فيه هلاكهم، فليس هناك ما يفضي إلى مصلحة راجحة إلا وأمر به، وليس هناك ما يفضي إلى مفسدة راجحة ألا ونهي عنه، فتعاليم الإسلام مبنية على الرحمة والعدل ، وتحقيق الألفة بين الناس، وتطهير النفوس، والوصول بهم إلى ما يسعدهم،وما يحصلون به منافعهم في الدنيا والآخرة. [23] يقول الدكتور أحمد عمر هاشم:"إن من أبرز ملامح الدعوة الإسلامية (الرحمة) فهى جوهر الإسلام وهى من صفات الله–سبحانه وتعالى– : الرحمن الرحيم، وبالرحمة نزل الدستور السماوي ...ومن أجلها أرسل الرسول صلوات الله وسلامه عليه وفيها تركز هدف رسالته ومقصد دعوته قال I : ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.[24] وهى السمة المميزة للمسلمين فيما بينهم فهم يتراحمون، ويعطف بعضهم على بعض، ويواسي كل منهم أخاه، فمشاعرهم متلاقيه، وأحاسيسهم تنبض بالتعاون، والتساند والتعاطف والتآلف...والرحماء من عباد الله هم موطن الأمل للناس...".[25]

المبحث الثاني- التسامح كمفهوم إنساني

يمكن القول إن الإسلام دين التسامح من خلال أوامر الله– I – ، وتعامل النبي– ﷺ –مع غير المسلمين من خلال معاملة المسلم لغيره، من حسن معاملة الآخر سواء أكان مسلم أم غير مسلم ونجد ذلك بوضوح في القرآن الكريم فهناك العديد من الآيات التي تحدثت عن التسامح في الإسلام نذكر منها ما أمرنا الله – I – من العفو عن الناس قال I: ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾.[26] فقوله I : ﴿**وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**﴾ هو كشف عن وجه من وجوه تلك الشريعة السمحاء، وأنها شريعة إنسانية فى صميمها، تحترم الوجود الإنسانى، وتلتقى بالناس وتتعاطف معهم، فيكون حسابهم عندها قائما على طبيعتهم، وما ركّب فيهم من غرائز، وما استقرّ فيهم من عواطف ومشاعر. فالمعروف هو ما تتعرف إليه النفوس الطيبة، وتتفتح له الفطر، السليمة، فيقع منها موقع الرضا والقبول، ويصبح من المعروف لها، والمألوف عندها.[27]

ونجد أيضًا من عظمة الإسلام التسامح في الدعوة وذلك في قولهI: ﴿ **ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ .[28] كذلك نجد أن الإسلام يربط بين التسامح والصفح، قال I: ﴿ **وَلْيَعْفُوا**

(22) – سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه ، أبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الحكم (سنة الولادة 155هـ/ سنة الوفاة رمضان / 214هـ) ، تحقيق :أحمد عبيد ، عالم الكتب– بيروت لبنان ، 1404هـ – 1984م ، ص141.

(23) – الإسلام دين رحمة وعدل : د/أحمد بن مُحَمَّد بن الصادق النجار، الطبعة الأولى 1437هـ ،2015م ، ص7.

(24) – [سورة الأنبياء، الآية/ 107].

(25) – الأمن في الإسلام : د/ أحمد عمر هاشم ، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت ، ص 106.

(6) – [سورة الأعراف ، الآية/ 199].

(27) – التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى:بعد1390هـ)، دار الفكر العربي– القاهرة، ص 547

(28) – [سورة النحل ، الآية/ 125].

وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.[29] انظر أيضًا في التسامح في معاملة الجاهل الذي لا يدرك الحقيقة، قال I: ﴿**وَإِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلامًا**﴾.[30] كذلك نجد في سورة العنكبوت حسن المعاملة في الجدال مع الآخر المخالف في العقيدة قال I: ﴿**وَلا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾.[31] كذلك نجد التسامح في عدم الغضب، قال I : ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَواحِشَ وَإِذا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾ . [32] وقوله I : ﴿ **وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ . [33] كذلك نجد القرآن الكريم يربط بين التسامح والصبر والمغفرة قال I: ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ** ﴾.[34]

وفي السنة النبوية نجد أحاديث كثيرة تدعو إلى العفو والتسامح وما يترتب على ذلك من زيادة في الرفعة والمكانة للإنسان الذي يتحلى بتلك الصفات الحسنة، ونجد ذلك في حديث "أَبِي هُرَيْرَةَ" – ﷺ – عَنْ رَسُولِ اللهِ – ﷺ – ، قَالَ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ** ».[35] _وقوله " «**وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ**» " أَيْ: بِسَبَبِ عَفْوِهِ عَنْ شَيْءٍ مَعَ قُدْرَتِهِ عَلَى الِانْتِقَامِ " إِلَّا عِزًّا " قَالَ الطِّيبِيُّ: فَإِنَّهُ إِذَا عُرِفَ بِالْعَفْوِ سَادَ وَعَظُمَ فِي الْقُلُوبِ وَزَادَ عِزُّهُ، أَوِ الْمُرَادُ عِزُّ الثَّوَابِ وَكَذَا الْمُرَادُ مِنَ الرَّفْعِ فِي قَوْلِهِ " «**وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ**» " بِأَنْ أَنْزَلَ نَفْسَهُ عَنْ مَرْتَبَةٍ يَسْتَحِقُّهَا لِرَجَاءِ التَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ دُونَ غَرَضٍ غَيْرِهِ " «**إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ**» " إِمَّا رَفَعَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِمَّا رَفَعَهُ فِي الْأُخْرَى، قُلْتُ: وَلَا مَنْعَ مِنَ الْجَمْعِ كَمَا نَقَلَهُ النَّوَوِيُّ عَنِ الْعُلَمَاءِ ". [36] أي "أن من عرف بالعفو والصفح ساد وعظم في القلوب وزاده عزة وكرامة، فيكون حقيقة، ويحتمل أن المراد الأجر في الآخرة والعز هناك فيكون مجازًا ، وقوله: "ومما تواضع" إلى آخره. يحتمل أن يراد أن الله يرفعه في الدُّنيا، ويثبت له بتواضعه في القلوب منزلة، ويرفعه الله عند النَّاس ويجل مكانه، ويحتمل أن يراد أن الله تعالى يثيبه في الآخرة ويرفعه فيها بسبب تواضعه في الدُّنيا". [37]

---

(29) – [سورة النور ، الآية/ 22].

(30) – [سورة الفرقان ، الآية/ 63].

(31)– [سورة العنكبوت ، الآية/ 46].

(32) – [سورة الشورى ، الآية/ 37].

(33) – [سورة الشورى ، الآية/ 40].

(34) – [سورة الشورى ، الآية/ 43].

(35) – حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه: كِتَابُ "البر والصلة والآداب" بَابُ " اسْتِحْبَابِ الْعَفْوِ وَالتَّوَاضُعِ " ، (2001/4) (2588). عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(36) – مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : علي بن (سلطان) مُحَمَّد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ) ، دار الفكر ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ، 1422هـ - 2002م ، (1334/4).

(37) – البدرُ التمام شرح بلوغ المرام : الحسين بن مُحَمَّد بن سعيد اللاعيّ، المعروف بالمِغربي (المتوفى: 1119 هـ) ، المحقق: علي بن عبد الله الزبن، دار هجر ، الطبعة الأولى (1428 هـ - 2007 م) ، (365/10).

ومن الأحاديث أيضًا التي تدعو دعوة صريحة إلى التسامح وعدم التباغض أو التحاسد أو القطيعة، فعن أنس بن مالك- ﷺ – أن النبي- ﷺ – قال: « **لا تَبَاغَضُوا ، وَلا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَدَابَرُوا، وَلا تَقَاطَعُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا ، وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاَثٍ** ».[38] وما رواه أنس بن مالك أيضًا عن الرسول- ﷺ – قال: «**ما رأيتُ النبي- ﷺ – رُفِعَ إليه شيءٌ فيهِ قِصَاصٌ إلا أمَرَ فيه بالعفوِ**».[39] هكذا نجد عظمة التسامح والعفو في الإسلام، حتى عندما تعرض النبي- ﷺ – للقتل بشاة مسمومة دستها له امرأة يهودية، فرفض النبي – ﷺ – أن يقتلها ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – ﷺ، «**أَنَّ يَهُودِيَّةً أَتَتِ النَّبِيَّ – ﷺ – بِشَاةٍ مَسْمُومَةٍ، فَأَكَلَ مِنْهَا، فَجِيءَ بِهَا فَقِيلَ: أَلاَ نَقْتُلُهَا، قَالَ: «لاَ»، فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُهَا فِي لَهَوَاتِ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ** ».[40] بل يحذرنا الرسول- ﷺ- من التكبر فعاقبته هى النار، ففي الحديث نجد أن النَّبِيَّ – ﷺ – يَقُولُ: « **أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ، أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ، مُسْتَكْبِرٍ** ».[41]

أي "(ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف) أي متواضع خامل وقيل أي يستضعفه الناس ويحتقرونه وعند أحمد من حديث حذيفة الضعيف المتضعف ذو الطمرين لا يؤبه له (لو أقسم على الله لأبرّه) أي لو حلف يمينًا طمعًا في كرم الله بإبراره أو لو دعاه لأجابه (ألا أخبركم بأهل النار كل عتلّ) فظ غليظ أو شديد الخصومة أو الفاحش الآثم أو الغليظ العنيف أو المجموع المنوع أو القصير البطن (جوّاظ مستكبر) قيل الفاجر وقيل الأكول والمراد كما قاله الكرماني وغيره أن أغلب أهل الجنة هؤلاء كما أن أغلب أهل النار القسم الآخر وليس المراد الاستيعاب في الطرفين".[42] ففي هذا الحديث ذكر علامات أهل الجنة وأهل النار، فمن علامات أهل الجنة أن يكون ضعيفًا متضعفًا، وذلك أن الجبارين يتضعفونه فيستطيلون عليه لضعفه، وقد يكون الضعف فقرًا لعدم المال، وقد يكون لعدم الرجال، وقد يكون لعدم القوة والأيد، فإذا

---

(38) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " الأَدَبِ". بَابُ " مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ "(19/8) (6065) عن شُعَيْبٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ" . بَابُ " النَّهْيِ عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّبَاغُضِ وَالتَّدَابُرِ" (1983/4) (2559) عن شُعْبَةُ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ .

(39) – حديث صحيح : أخرجه أبو داود في سننه ت شعَيب الأرنؤوط – محَمَّد كامِل قره بللي: كِتَابُ "الديات" بَابُ " الإِمَامِ يَأْمُرُ بِالْعَفْوِ فِي الدَّمِ "، (288/4) (4499). عن عبدُ الله بنُ بكرِ بن عبدِ الله المزني، عن عطاء بنِ أبي ميمونة عن أنس بنِ مالك.صححه الألباني في كتابه " صحيح وضعيف سنن أبي داود"،(2)(4497).

(40) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " الهبة وفضلها والتحريض عليها ". بَابُ " قَبُولِ الهَدِيَّةِ مِنَ المشْرِكِينَ" (163/3) (2617)،ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " السلام" .بَابُ "السُّمِّ" (1721/4)(2190)كلاهما عَنْ شُعْبَةُ، عن هِشَامِ بْنِ زَيْدٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ.

(41) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " تفسير القرآن ". بَابُ " عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ" (159/6) (4918) عن سُفْيَانُ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا" . بَابُ " النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ" (2190/4) (2853) عن شُعْبَةُ عَنْ مَعْبَدِ بْنِ خَالِدٍ، عن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الخُزَاعِيِّ

(42) – إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري : أحمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: 923هـ) ، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر ، الطبعة السابعة، 1323 هـ ، (399/7).

خلق الله تعالى خلقًا ضعيفًا لهذه الأشياء أو بعضها ليمتحن به عباده، فمن يرحمه الإنسان أو يقهره فإنه يكون من أهل الجنة كما أخبر به رسول الله – ﷺ– وأما علامات أهل النار فإنه العتل،قال أبو عبيدة: العتل عند العرب الشديد، وهو الشديد الذي يدل لشدته ويتطاول بحلوله على الناس، فإن كان ممن ينفق قوته في الحق فهو خارج من هذا، أما الجواظ: فقد قيل في معناه أقوال: أولاها أنه الجموع المنوع، والمستكبر: المتكبر.[43]

وهكذا يمكننا أن ننتهي إلى أنه كان من حكمة الله I ورحمته بالناس هو أنه I جعل الإسلام ليكون دين البشرية عامة، ووعد الله I بتمكينها في الأرض كما جاء في آية سورة الفتح هذه: وقوله I : ﴿ **هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفى بِاللَّهِ شَهِيدًا**﴾ .[44] وآيات سورة التوبة هذه: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللَّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ، هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ .[45] وآية سورة النور هذه: ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا** ﴾ .[46] وإنه صار كذلك من واجب العرب وحقهم الاعتزاز بها وبذل الجهد في إصلاح أنفسهم على أضوائها ليكونوا لائقين لها قادرين على القيام بواجبهم نحوها. بل إن هذا الاعتزاز بهذه الرسالة الإنسانية العالمية الخالدة هو من حق العرب غير المسلمين – لأنه ليس هناك عرب غير مسلمين غيرهم– وواجبهم إذا كانوا صادقين ومخلصين حقا في شعورهم القومي.[47]

وقد ضرب الصحابة أفضل الأمثلة في التسامح منها تسامح سيدنا أبوبكر الصديق– ﷺ – في حادثة الإفك، فقد سامح سيدنا أبوبكر الصديق "مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ " وقرر أن ينفق عليه مرة أخرى ، بعد أن كان أتخذ قرار بعدم الإنفاق عليه . قالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ– ﷺ –: «**بَلَى وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا**».[48]

ونجد أيضًا من نماذج التسامح ما فعله سيدنا عمر بن الخطاب – ﷺ – مع عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، فعن ابْنَ عَبَّاسٍ – ﷺ – ، قَالَ: «**قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ**

---

(43) – الإفصاح عن معاني الصحاح : يحيى بن (هُبَيْرَة بن) مُحَمَّد بن هبيرة الذهلي الشيبانيّ، أبو المظفر، عون الدين (المتوفى: 560هـ)، المحقق: فؤاد عبد المنعم أحمد ، دار الوطن ، 1417هـ ، (141/1)(142/1).

(44) – [سورة الفتح ، الآية/ 28].

(45) – [سورة التوبة ، الآية/ 32-33].

(46) – [سورة النور ، الآية/ 55].

(47) – التفسير الحديث : دروزة مُحَمَّد عزت ، ص 511

(48) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ " الشَّهَادَاتِ ". بَابُ " تَعْدِيلِ النِّسَاءِ بَعْضِهِنَّ بَعْضًا " (173/3) (2661)، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " التوبة" . بَابُ " فِي حَدِيثِ الإِفْكِ وَقَبُولِ تَوْبَةِ الْقَاذِفِ " (2129/4) (2770) كلاهما عَنِ الزُّهْرِيِّ، عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُ بْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ عَائِشَةَ.

الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ، وَكَانَ القُرَّاءُ أَصْحَابَ مَجَالِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا كَانُوا أَوْ شُبَّانًا»، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيْهِ، قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ**»، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ: هِيْ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فَوَاللَّهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ وَلاَ تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ حَتَّى هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ – ﷺ-: ﴿**خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ**﴾ [49]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، «**وَاللَّهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاَهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللَّهِ**». [50]

ويذهب المفكرون في العصر الحديث إلى إيضاح مدى التسامح الإسلامي في معاملة الآخر ، وكيف كانت سماحة الإسلام التي لم نجد لها مثيل لا في الشرق ولا في الغرب ولا في العالم أجمع ، وهذا ما يشير إليه الدكتور مُحَمَّد عمارة في كتابه "هذا هو الإسلام:... فقد ظل أصحاب الأديان الأخرى ، على وجه الإجمال ، ينعمون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نجد لها مثيل في أوروبا حتى عصور حديثة جدًا. وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم ، طبقًا لتعاليم القرآن ، قال I: ﴿**لا إكراه في الدين**﴾ [51] وقال أيضًا I: ﴿**أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين** ﴾ [52]، وقال I: ﴿**وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله**﴾ [53] . [54]

فالإسلام يمد يده لمصافحة أتباع الأديان الأخرى لتحقيق التعاون على إقامة العدل ، ونشر الأمن وصيانة الدماء أن تسفك ، وحماية الحرمات أن تنتهك، والإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه ، أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم– لأن حرية الاعتقاد مصانة– أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم ، وشتان بين التسامح والضعف والعجز ، فكثيرون لا يقدّرون هذا النبل ، وربما استغلوا هذه السماحة في الإساءة إلى الإسلام، الذي وسعتهم دائرته المرنة.[55] "ولعل من أكبر الأدلة وأقوى الحجج على قيام الحضارة الإسلامية عبر العصور على أساس متين من التسامح في

(49) – [سورة الأعراف ، الآية/ 199].

(50) – حديث صحيح، أخرجه البخاري في صحيحه: كِتَابُ " تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ". بَابُ " خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ" (187/14) (4276) عَنِ الزُّهْرِيِّ، عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،عن ابْنَ عَبَّاسٍ.

(51) – [سورة البقرة ، الآية/ 256].

(52) – [سورة يونس ، الآية/ 99].

(53) – [سورة يونس ، الآية/ 100].

(54) – هذا هو الإسلام (5) ، الموقف من الحضارات الأخرى ، أسباب انتشار الإسلام "شهادة غربية" : د.مُحَمَّد عمارة ، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، 2006م ، ص95.

(55) – هذا هو الإسلام ، التسامح في الإسلام "المبدأ والتطبيق" : د/شوقي أبو خليل ، دار الفكر المعاصر ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1414هـ ،1993م ، ص50.

أسطع معانيه ، هو تعايش المسلمين مع أهل الديانات والملل والعقائد في البلدان التي فتحوها خلال القرون المتطاولة".[56] فلم يخل قط المجتمع المسلم من غير المسلمين في أي عصر من العصور ، والمسلمون لم يكرهوا أحدًا من غير المسلمين على الدخول في الإسلام ، ولم يمنعوا أحدًا من العيش معهم على الرغم من مخالفتهم في الدين ، إذ ليس من لوازم الإيمان بالإسلام عداوة غير المسلمين ، ورفض العيش معهم ، ومن يقرأ ويتدبر القرآن والسنة ومعاملة الخلفاء الراشدين لغير المسلمين سيجد تلك السماحة الإسلامية في معاملة المخالفين في العقيدة.[57] وأساس التسامح مع أهل الذمة هو أنهم "أهل كتاب" ، أي أهل ديانة سماوية لها كتاب منزل.[58]

تقول المستشرقة الألمانية الدكتورة سيجريد هونكة : " إن الإسلام هو – ولا شك – أعظم دين على ظهر الأرض سماحة وإنصافًا، نقولها دون تحيز، ودون أن نسمح للأحكام الظالمة أن تلطخه بالسواد ، وإذا ما نحينا هذه المغالطات التاريخية الأثمة في حقه والجهل البحث به ، فإن علينا أن نتقبل هذا الشريك والصديق، مع ضمان حقه في أن يكون كما هو...".[59]

المبحث الثالث- تكريم الإسلام للإنسان

كرم الله – I– الإنسان بنعم لا تعد ولا تحصى، كما أنه رزقه من الطيبات وفضله على كثيرًا ممن خلق تفضيلًا، وأنعم عليه بالعقل لكي يتأمل ويتدبر وينظر في النعم الكثيرة المسجاة عليه، ونجد ذلك بوضوح في القرآن الكريم والسنة وتجلت آثارها عند الصحابة والتابعين والفقهاء كما ظهرت في كتابات المفكرين في العصر الحديث.ومن الآيات التي تحدثت عن كرامة الإنسان في الإسلام نذكر قوله I: ﴿ **وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ** ﴾.[60] فقد رفع الله –I– مكانة الإنسان ومنزلته على كثير من خلقه ، ويظهر لنا ذلك التكريم بوضوح في أمره سبحانه وتعالى للملائكة أن تسجد لآدم وذلك تعظيمًا له ومن التكريم أيضًا النعم الكثيرة التي أنعمها الخالق سبحانه على الإنسان قال I: ﴿ **وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوها** ﴾.[61] فنعم الله–I– على الإنسان لا تعد ولا تحصى ، وقال I: ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا**

(56) – الإسلام والتعايش بين الأديان في أفق القرن21 : د/عبدالعزيز بن عثمان التويجري ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، مطبعة الإيسيسكو الرباط المملكة المغربية ، الطبعة الثانية ، 1436هـ ،2015م ، ص25.

(57) – أثر الحضارة الإسلامية في المجتمعات الإنسانية : د/عبدالقادر سيد عبدالرووف ، دار الطباعة المحمدية ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1994م، ص21.

(58) – عالم الإسلام : د/حسين مؤنس ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة يناير 1973م ، ص250.

(59) – الإسلام والغرب "افتراءات لها تاريخ " ، دراسة حول الإساءات الغربية الأخيرة للإسلام : د/مُحَمَّد عمارة ، مركز الإعلام العربي ، القاهرة ، الطبعة الأولى 2006م ، ص59. نقلًا عن كتاب : "الله ليس كذلك": سيجريد هونكة ، ص101.

(4)-[سورة البقرة ، الآية/ 34].

(5)-[سورة إبراهيم ، الآية/ 34].

﴾.[62] وكذلك قوله I: ﴿ **اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ** ﴾.[63] أي خلقكم في أحسن صورة ، وهذا تكريم خاص بالإنسان وحده عن كافة المخلوقات. بل نجد أنه Iخلق الإنسان في أحسن صوره قال I : ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ** ﴾.[64] قوله I: ﴿ **عَلَّمَ الْإِنْسانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾.[65] أي علمه الكثير من الأشياء التي كان يجهلها.

وهناك العديد من الأحاديث التي تحدثت عن كرامة الإنسان في الإسلام، فالإسلام يراعي الكرامة الإنسانية للإنسان المسلم أو غير المسلم ، فالإسلام يحترم الإنسان كونه إنساناً في حد ذاته ، وهناك العديد من الأحاديث التي دلت على ذلك فعن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى، قَالَ: كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالقَادِسِيَّةِ، فَمُرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ، فَقَامَا، فَقِيلَ لَهُمَا إِنَّهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ، فَقَالاَ: إِنَّ النَّبِيَّ – ﷺ– مَرَّتْ بِهِ جِنَازَةٌ فَقَامَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهَا جِنَازَةُ يَهُودِيٍّ، فَقَالَ: «**أَلَيْسَتْ نَفْسًا**».[66] كذلك يوجب الإسلام على الإنسان أن يعتني بمظهره ، وهذا من سبل التكريم أيضًا ، بل جعل الإسلام ذلك فطرة في الإنسان فطره عليها، فعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– : « **عَشْرَةٌ مِنَ الْفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَقَصُّ الْأَظْفَارِ، وَغَسْلُ الْبَرَاجِمِ، وَإِعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَالِاسْتِنْشَاقُ، وَنَتْفُ الْإِبْطِ، وَحَلْقُ الْعَانَةِ، وَانْتِقَاصُ الْمَاءِ** » قَالَ مُصْعَبٌ: وَنَسِيتُ الْعَاشِرَةَ إِلَّا أَنْ تَكُونَ الْمَضْمَضَةَ.[67]

ومن سبل التكريم أيضًا تكريم الاسم ففي الحديث ، حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ مُوسَى، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: «**أَنَّ ابْنَةً لِعُمَرَ كَانَتْ يُقَالُ لَهَا عَاصِيَةُ فَسَمَّاهَا رَسُولُ اللهِ – ﷺ– جَمِيلَةَ**».[68] بل حتى بعد موت الإنسان ، نجد أن الإسلام يكرم الإنسان عن طريق غسل جسده بالماء والصلاة عليه ودفنه ، فالإسلام لا يحرق الجسد أو يلقي به في الماء ، بل يكرم الجسد الإنساني إلى أن يدفن ، فإنسانية الإسلام تكمن في احترامه وتكريمه للإنسان في حياته وبعد مماته ، فعَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ، قَالَتْ: لَمَّا مَاتَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ – ﷺ–

---

(6)-[سورة الإسراء ، الآية/ 70]

(1) – [سورة غافر ، الآية/ 64]

(64) – [سورة التين ، الآية/ 4].

(65) – [سورة العلق ، الآية/ 5].

(66) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " الجَنَائِزِ". بَابُ مَنْ قَامَ لِجَنَازَةِ يَهُودِيٍّ" (85/2) (1312) ، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " الْجَنَائِزِ" . بَابُ " الْقِيَامِ لِلْجَنَازَةِ" (661/2) (961) كلاهما عن شُعْبَةُ عَنْ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ، عَنِ ابْنِ أَبِي لَيْلَى.

(67) – حديث حسن ، أخرجه النسائي في سننه (السنن الصغرى) تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة : كِتَابُ " الزِّينَةِ". بَابُ "مِنَ السُّنَنِ الْفِطْرَةُ " (126/8) (5040) ، عَنْ طَلْقِ بْنِ حَبِيبٍ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ عَائِشَةَ. حسنه الألباني في كتابه "صحيح وضعيف سنن النسائي" (112/11)(5040).

(68) – حديث صحيح ، أخرجه مسلم في صحيحه : كِتَابُ " الْآدَابِ". بَابُ " اسْتِحْبَابِ تَغْيِيرِ الِاسْمِ الْقَبِيحِ إِلَى حَسَنٍ، وَتَغْيِيرِ اسْمِ بَرَّةَ إِلَى زَيْنَبَ وَجُوَيْرِيَةَ وَنَحْوِهَا" (1687/3) (2139) . عَنْ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ.

قَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ – ﷺ– : «**اغْسِلْنَهَا وِتْرًا ثَلَاثًا، أَوْ خَمْسًا، وَاجْعَلْنَ فِي الْخَامِسَةِ كَافُورًا، أَوْ شَيْئًا مِنْ كَافُورٍ، فَإِذَا غَسَلْتُنَّهَا، فَأَعْلِمْنَنِي**» قَالَتْ: فَأَعْلَمْنَاهُ، فَأَعْطَانَا حَقْوَهُ وَقَالَ «**أَشْعِرْنَهَا إِيَّاهُ**».[69]

ومن النماذج التي تدل على تحقيق كرامة الصحابة ما تحقق من استجابة لدعوة سعد بن أبي وقاص عند شكا أهل الكوفة سعدًا إلى سيدنا عمر بن الخطاب، فعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا إِلَى عُمَرَ – ﷺ – ، فَعَزَلَهُ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوْا حَتَّى ذَكَرُوا أَنَّهُ لاَ يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنَّ هَؤُلاَءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لاَ تُحْسِنُ تُصَلِّي، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: أَمَّا أَنَا وَاللَّهِ «**فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلاَةَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ– مَا أَخْرِمُ عَنْهَا، أُصَلِّي صَلاَةَ العِشَاءِ، فَأَرْكُدُ فِي الأُولَيَيْنِ وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ**»، قَالَ: ذَاكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ، فَأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا أَوْ رِجَالًا إِلَى الكُوفَةِ، فَسَأَلَ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ وَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّى دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ أُسَامَةُ بْنُ قَتَادَةَ يُكْنَى أَبَا سَعْدَةَ قَالَ: أَمَّا إِذْ نَشَدْتَنَا فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لاَ يَسِيرُ بِالسَّرِيَّةِ، وَلاَ يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلاَ يَعْدِلُ فِي القَضِيَّةِ، قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَدْعُوَنَّ بِثَلاَثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالفِتَنِ، وَكَانَ بَعْدُ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ، قَالَ عَبْدُ المَلِكِ: فَأَنَا رَأَيْتُهُ بَعْدُ، قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وَإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوَارِي فِي الطُّرُقِ يَغْمِزُهُنَّ.[70]

وتعد الكرامة الإنسانية من أهم التعاليم الخلقية في الإسلام ، ويغذى ذلك عبر الإيمان ، ويرفع الإيمان من شأن كرامة الإسلام ، حتى يصبح المسلم رقيق الشعور مرهف الحس في ذلك ، فلا يرضى في حال من الأحوال أن ينزل الآخر منزلة البهائم ، فلا يرتاح قلب المسلم لأن يعامل بني جنسه معاملة العجماوات والجمادات ، ولا يستعبدهم لتفوقه الشخصي والغلبة عليهم، ولا يرى فارقًا بينه وبين بني جنسه فيذلهم ويهينهم.[71] فالإسلام من مزاياه هو ترسيخه للأخوة الإنسانية ، يقول الدكتور مُحَمَّد عمارة في ذلك: "ومن بين مميزات مزايا تعميقه لمفهوم الأخوة". [72] وهكذا يمكننا أن ننتهي مع العقاد بقوله : الإسلام دين إنساني عام ، أو دين عالمي كما نقول في اصطلاح العصر الحديث ، يخاطب الأمم جميعًا فلا يفرق بين أمة وأمة بفارق الجنس أو اللون ، أو اللغة ، فكل إنسان في جوانب الأرض أهل لأن يأوي إلى هذه الأخوة الإنسانية حيث

(69) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " الجَنَائِزِ". بَابُ " يُجْعَلُ الكَافُورُ فِي آخِرِهِ" (74/2) (1258) ، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ " الْجَنَائِزِ" . بَابُ " فِي غَسْلِ الْمَيِّتِ" (648/2) (939) كلاهما عَنْ عَنْ أَيُّوبَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنْ أُمِّ عَطِيَّةَ.

(70) – أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " الْأَذَانِ". بَابُ "وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ" (203/3) (713). عن أَبُو عَوَانَةَ، عن عَبْدُ المَلِكِ بْنُ عُمَيْرٍ، عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ.

(71) – الإسلام أثره في الحضارة وفضله على الإنسانية: أبو الحسن الندوي، دارة الصحوة للنشر، الطبعة الأولى 1406هـ ،1986م ، ص49.

(72) – هذا هو الإسلام (3) ، احترام المقدسات ، خيرية الأمة ، عوامل تفوق الإسلام "شهادة غربية": د/مُحَمَّد عمارة ، مكتبة الشروق الدولية ، ديسمبر 2005م ، ص97.

شاء وحين يشاء.[73] فقد أعلى الإسلام من كرامة الإنسان ، يقول الدكتور عدنان الخطيب: " يعلن الإسلام كرامة الإنسان وفضله على كثير من المخلوقات، ويعده خليفة الله I في أرضه، يعمرها ويدبر شؤونها، قدر ما فيه من عقل وحكمة، فحمله أمانة التكليف، وإنها لباهظة، وألقى عليه عبء المسؤولية، وإنه لثقيل، وبهبة العقل يكشف الإنسان الحجب، ويتعلم من الطبيعة ما لم يكن يعلم ".[74] هكذا كرم الإسلام الإنسان من حيث هو إنسان ، وآخى بين أجناس البشر باعتبارهم من أصل واحد، بل عد الناس جميعًا وحدة واحدة، الإنسانية تجمعها ، والآدمية تشملها ، فقد خلق الله-I- الناس جميعًا من نفس واحدة ، وخلق من هذه النفس زوجها ، وتوالد الناس من هذين الأبوين الكريمين .[75] ويمكننا أن ننتهي إلى إن الكرامة التي يقررها الإسلام للشخصية الإنسانية ، ليست كرامة مفردة ، ولكنها كرامة مثلثة: كرامة هى عصمة وحماية، وكرامة هى عزة وسيادة، وكرامة هى استحقاق وجدارة...[76]

المبحث الرابع- أثر حرية الفكر والعقيدة في بناء الحضارة

لقد عظم الإسلام الحرية بأوسع معانيها ، فالإسلام يعطي للمرء حرية الفكر والعقيدة وممارسة الشعائر والطقوس، بل بعدم الخوض والسب في آلهة المشركين، ويتجلى ذلك في العديد من الآيات التي تحدثت عن الحرية في الإسلام فنجد الحرية في الاعتقاد ، فالإنسان يختار كما يشاء بكامل إرادته قال I: ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾.[77] وقوله I: ﴿ **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾.[78] وقوله I: ﴿ **قَالَ يَاقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ** ﴾.[79] ولما كان الإنسان حر في اختياره إذن هو مسئول عن أفعاله ، وعن ما يترتب عليها ونجد ذلك في قوله I: ﴿**مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا**﴾.[80] كذلك قوله I:

(73) – الإسلام والحضارات الإنسانية ومقالات أخرى : عباس محمود العقاد ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، الطبعة الثانية، 2006م، ص 154.

(74) – حقوق الإنسان في الإسلام :" أول تقنين لمبادئ الشريعة الإسلامية فيما يتعلق بحقوق الإنسان": شرح وتعليق د/عدنان الخطيب ، تصدير د/إبراهيم مدكور ، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، الطبعة الأولى 1412هـ ، 1992م ، ص23-24.

(75) – علاقة المسلمين بغيرهم ومكانتها من الصلات الدولية في الإسلام : د/أحمد عبدالعزيز عرابي ، مطبعة الأمانة مصر ، القاهرة ، الطبعة الأولى 1416هـ ،1996م ، ص12.

(76) – نظرات في الإسلام : د/محمد عبدالله دراز ، 1392هـ 1972م ، ص 111.

(77)- [سورة البقرة ، الآية/ 256].

(78) - [سورة يونس، الآية/ 99] .

(79) - [سورة هود ، الآية/ 28] .

(80) - [سورة الإسراء، الآية/ 15] .

﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾.[81] وقوله تعالى I: ﴿**قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ ، لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُونَ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ، وَلا أَنا عابِدٌ ما عَبَدْتُمْ، وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُدُ ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾.[82]

ويدعو الإسلام إلى حرية الإنسان ، بل هناك إثم يقع على من يبيع حرًا وهذا إن دل فإنما يدل على تعظيم الإسلام لمفهوم الحرية ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ – ﷺ – ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ– ، قَالَ: «**قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ** ».[83] ونجد أن الإسلام ألغى العبودية للبشر أمثالهم ، فلا عبودية لغير الله – I – فعَنِ النَّبِيِّ – ﷺ – ، أَنَّهُ قَالَ: « **لاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: أَطْعِمْ رَبَّكَ وَضِّئْ رَبَّكَ، اسْقِ رَبَّكَ، وَلْيَقُلْ: سَيِّدِي مَوْلاَيَ، وَلاَ يَقُلْ أَحَدُكُمْ: عَبْدِي أَمَتِي، وَلْيَقُلْ: فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلاَمِي**».[84] ويرفض الإسلام التكبر والغرور فالناس جميعًا سواسية أحرار ، خلقوا جميعًا من تراب ،فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ – ﷺ– ، قَالَ: «**لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِآبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللهِ مِنَ الجُعَلِ الَّذِي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالآبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ**».[85]وهكذا يؤسس الإسلام للحرية ، ويلغي العبودية وينهى عن التكبر والغرور ، بالإضافة لذلك تكون الحرية في الإسلام مرتبطة بالنطاق الشرعي ، فلا تسرق ولا تزني ولا تقتل باسم الحرية ، فهذه إذن ليس حرية بل نوعًا من الجنون والمجون ، فالإنسان حر ما لم يضر غيره ، كما أنه لا ضرر ولا ضرار ، وتنتهي حريتي عند إلحاق الأذى والضرر بالآخرين. وهذا إن دل فإنما يدل على عظمة الإسلام في طرحه لمفهوم الحرية الذي يصلح للماضي والحاضر والمستقبل.

واستلهم السلف الصالح مفهوم الحرية من القرآن الكريم والسنة النبوية ، فها هو "عبدالله بن عمر" يعتق مملوكًا ويجعله حرًا، فعَنْ زَاذَانَ أَبِي عُمَرَ، قَالَ: أَتَيْتُ ابْنَ عُمَرَ وَقَدْ أَعْتَقَ مَمْلُوكًا، قَالَ: فَأَخَذَ مِنَ الْأَرْضِ عُودًا أَوْ شَيْئًا، فَقَالَ: مَا فِيهِ

---

(81) – [سورة الكهف ، الآية/ 29] .

(82)– [سورة الكافرون ، الآيات/ 1–6].

(83) – حديث صحيح ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " البُيُوعِ". بَابُ " إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا" (82/3) (2227) . عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

(84) – متفق عليه ، أخرجه البخاري في صحيحه : كِتَابُ " العِتْقِ". بَابُ " كَرَاهِيَةِ التَّطَاوُلِ عَلَى الرَّقِيقِ، وَقَوْلِهِ: عَبْدِي أَوْ أَمَتِي" (150/2) (2552) ، ومسلم في صحيحه: كِتَابُ" الْأَلْفَاظِ مِنَ الْأَدَبِ وَغَيْرِهَا ". بَابُ "حُكْمِ إِطْلَاقِ لَفْظَةِ الْعَبْدِ، وَالْأَمَةِ، وَالْمَوْلَى، وَالسَّيِّدِ " (1765/4) (2249) كلاهما عَنْ مَعْمَرٌ، عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ، عن أَبِي هُرَيْرَةَ.

(85) – حديث حسن ، أخرجه الترمذي في سننه ت(بشار عواد معروف) : كِتَابُ " المناقب عن رسول الله – ﷺ – ". بَابُ " في فضل الشام واليمن" (228/6) (3955) عن هِشَامُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، حسنه الألباني في كتاب "مشكاة المصابيح" لـ مُحَمَّد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: 741هـ)،(1373/3)(4899).

مِنَ الْأَجْرِ مَا يَسْوَى هَذَا، إِلَّا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – ﷺ– يَقُولُ: «**مَنْ لَطَمَ مَمْلُوكَهُ، أَوْ ضَرَبَهُ، فَكَفَّارَتُهُ أَنْ يُعْتِقَهُ**»".[86] فقد جعل الإسلام عقوبة ضرب العبيد هو تحريرهم وعتقهم لوجه الله–سبحانه وتعالى– فقد أراد الإسلام في ذلك العصر الجاهلي الذي انتشر فيه الرق والعبودية والذل والهوان أن يحرر المجتمع من تلك العادات القبيحة إلى مجتمع آخر يتقبل فكرة الحرية لهؤلاء العبيد ، لذلك وضع الإسلام تلك القواعد ، وقد سار السلف الصالح عليها .ومن صور الحرية أيضًا ما فعله سيدنا علي بن أبي طالب– ﷺ – مع الخوارج بعدما ثاروا عليه بسبب التحكيم ، فقد ترك لهم مطلق الحرية وكان يستطيع أن يقييد حريتهم لكنه لم يفعل ، بل لم يمنعهم من الصلاة أو يمنعهم من نصيبهم إذا قاتلوا معه ولم يقاتلهم إلا إذا قاتلوه عن ابْنُ إِدْرِيسَ، **[قَالَ: سَمِعْتُ لَيْثَ بْنَ أَبِي سُلَيْمٍ يَذْكُرُ عَنْ أَصْحَابِهِ، قَالَ: جَعَلَ عَلِيٌّ يُقَلِّبُ يَدَيْهِ يقول يديه هَكَذَا وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: حُكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يَنْتَظِرُ فِيكُمْ مَرَّتَيْنِ، إِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا ثَلاثًا: لا نَمْنَعُكُمْ صَلاةً فِي هَذَا الْمَسْجِدِ، وَلا نَمْنَعُكُمْ نَصِيبَكُمْ مِنْ هَذَا الْفَيْءِ مَا كَانَتْ أَيْدِيكُمْ مَعَ أَيْدِينَا، وَلا نُقَاتِلُكُمْ حَتَّى تُقَاتِلُونَا]**. [87]

وأسس الإسلام لمفهوم الحرية في شرائعه، يقول الدكتور علي عبدالواحد وافي في كتابه "الحرية في الإسلام" : " اتخذ الإسلام الحرية الفردية دعامة لجميع ما سنه للناس من عقائد ونظم وتشريع، وتوسع في إقرارها، فلم يقيد حرية الفرد إلا في الحدود التي يقتضيها الصالح العام، أو يدعو إليها احترام حرية الآخرين...وقد حرص الإسلام على تطبيق مبدأ الحرية في هذه الحدود وبهذه المناهج في مختلف شئون الحياة، وأخذ به في جميع النواحي التي تقتضي كرامة الفرد أن يؤخذ بها في شئونها، وهى : النواحي المدنية ؛ والنواحي الدينية؛ ونواحي التفكير والتعبير؛ ونواحي السياسة ونظم الحكم . ووصل به في كل ناحية من هذه النواحي الأربع إلى شأن رفيع لم تصل إلى مثله شريعة أخرى من شرائع العالم قديمه وحديثه".[88]

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى النتائج التالية:

- توضيح إنسانية الإسلام وأنها قائمة على الرحمة والتسامح والعدل والكرامة والحرية ، والتأكيد على أن الإسلام دين خير ورحمة للعالمين ، وتأسيس الإسلام لقيم التحضر الإنساني.
- تبيين مفهوم الرحمة في الإسلام ، وأن الإسلام جاء رحمة للعالمين ، والتأكيد على أن ليس هناك فرق بين المخالف لنا في العقيدة من أهل الكتاب أو أهل الذمة في الرحمة ، وتوضيح قواعد وأحكام الإسلام في التعامل مع غير

(86) – حديث صحيح، أخرجه مسلم في صحيحه : كِتَابُ الْأَيْمَانِ ". بَابُ " صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ" (1278/3) (1657). عَنْ فِرَاسٍ، عَنْ ذَكْوَانَ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ زَاذَانَ أَبِي عُمَرَ.

(87) – تاريخ الطبري = (تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: 369هـ) : مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ) ، دار التراث – بيروت ، الطبعة الثانية – 1387 هـ ، (74/5).

(88) – الحرية في الإسلام : د/علي عبدالواحد وافي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، إبريل 1968م ، ص 5.

المسلمين فالآخر المخالف للمسلمين تربطه مع المسلمين علاقة تعايش وتسامح وبناء ما دام بينهم وبين المسلمين عقود أمان وذمة.

- إظهار أنواع التسامح في الإسلام وتقسيماته المختلفة.و إيضاح أن الإحسان إلى الناس له فضل عظيم في الآخرة ، وهذا من كرم ولطف الله – I- على عباده.
- التأكيد على مفهومي الحرية والكرامة الإنسانية في الإسلام ، وكيف حثت آيات القرآن على تكريم الإنسان وتفضيله على جميع المخلوقات.